كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

من قضايا النقد القديم

قراءة في كتابي (البيان والتبيين والحيوان) للجاحظ

إعداد

د/ داليا عبد الباقي محمد مصطفى

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بقسم اللغة العربية ـ كلية التربية بالزلفي ـ جامعة المجمعة

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الثاني)

(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

من قضايا النقد القديم

قراءة في كتابي : (البيان والتبيين والحيوان) للجاحظ

داليا عبد الباقي محمد مصطفى

قسم اللغة العربية – كلية التربية بالزلفي جامعة المجمعة – المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : d.mohammed@mu.ed.sa

الملخص :

تميز النقد العربي بكثير من القضايا التي أحدثت إشكاليات واسعة عند النقاد والشعراء والأدباء، ولعبت دوراً كبيراً في التأثير على علماء البلاغة والبيان والفصاحة والنقد عربًا وغير عرب. وبما أن الجاحظ من أهم روّاد النقد في الأدب العربي، أردت في هذا البحث أن أسلط الضوء على بعضٍ من قضايا النقد القديم التي طرحها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابي (البيان والتبيين والحيوان)، فهو لم يكن ناقدًا تقليديًا ورث آراءه ومواقفه عن شيوخه وأساتذته دون أن يكون له موقف منها، فشخصيته تجمع بين القدرة على الجدل والتفكير والبراعة في الذوق والأسلوب، وقد جمع آراءه النقدية بين تضاعيف كتبه، ولم يؤلف دراسة مستقلة في القضايا النقدية. وقد بدأت البحث بمقدمة تناولت فيها تقسيمات البحث، وأهم الأسباب والدوافع التي جعلتني أقوم باختيار هذا الموضوع وذكر المناهج المتبعة في الدراسة. واقتضت طبيعة المادة أن يُقسم البحث إلى مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن أهم القضايا النقدية في عصر الجاحظ، مع التركيز على موقف الجاحظ من كل قضية، وتحدثت في المبحث الثاني عن أهم القضايا النقدية في كتابي (البيان والتبيين والحيوان) مستشهدة بأقوال الجاحظ في

كل قضية، وأخيراً ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم التوصيات والنتائج، ومن ثم ذكرت أهم المراجع والمصادر

الكلمات المفتاحية : النقد القديم – الجاحظ – كتاب البيان والتبيين – كتاب الحيوان .

from Issues an old Criticism :

Reading in Aljahiz,s two books " AlBayan wa AlTabien and Al Haiwan"

Dalia Abdel Bagi Mohammed Mustafa
Department of Arabic Language - College of Education – alzlfi Majmaah University - Arabia Saudi
.
Email : d.mohammed@mu.ed.sa

Abstract :

Arabian literary criticism had been renowned for highly influencing literary criticism, poetry and literature of both Arabs and non-Arabs due to the multitude of varied literary Issues they discussed. And since AL Jahiz was one of the most highly influential critics of Arabian literature, I wanted in this report to highlight some of the literary criticism issues proposed by Abu Othman Omar Bin Bahr Al Jahiz in his books ((Al-Bian wa Al-Tabyeen) &(Al-hyawan)).He hadn't been a traditional critic, who had adopted his views and opinions from his mentors and teachers without a say in them. His ability to debate and think contributed to his skilled approach.His criticism opinions were found in the pages of his books, and he didn't compose literary criticism studies in a single book. I had started the study by an introduction in which I discussed the sections of the research, the main reasons and motivations that drove me to choose this topic and mentioning the methodology followed. The information collected has been divided into two sections. The first examines the most important literary issues in the

era of Al-Jahiz, with a focus on Al-Jahiz's stance on each issue. The second section addresses the most important literary issues of ((Al-Bian wa Al-Tabyeen)&(Al-hyawan)) using Al-Jahiz own words and lastly a conclusion consisting of statistics, results, sources and references.

Keywords : **old Criticism - Aljahiz,s - Book of AlBayan wa AlTabien - Book of Al Haiwan .**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه دراسة تناولت فيها جانبًا مهمًا من جوانب النقد العربي القديم بعنوان: "من قضايا النقد القديم قراءة في كتابي(البيان والتبيين والحيوان) للجاحظ"، ولقد تناول هذا الموضوع كثير من الدارسين في القديم والحديث ، واختلفت الآراء حول كثير من القضايا النقدية في هذا القرن، وقد اعتمدت في دراستي على كتابي الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ، لأنهما يمثلان مصدرًا مهمًا من مصادر النقد في القديم والحديث، وعسى أن تساهم هذه الدراسة في توضيح بعض القضايا النقدية التي مازال الجدل قائمًا حولها.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث :

تحدثت في المبحث الأول: عن أهم القضايا النقدية في القرن الثالث الهجري، مع التركيز على موقف الجاحظ من كل قضية، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الجاحظ وحياته ونشأته وثقافته وعلمه ومؤلفاته وأفكاره وقضاياه المختلفة ، ثم قمت بدراسة أهم القضايا النقدية في كتابي البيان والتبيين والحيوان في المبحث الثالث حيث أخذت بعض النماذج التي تعبر عن القضايا النقدية في القرن الثالث الهجري،.. وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومن ثم المنهج التكاملي، ومن الصعوبات التي واجهتني اختيار النماذج ولكن بالقراءات المتعددة لكتابي الحيوان والبيان والتبيين استطعت أن أتغلب على هذه الصعوبة، وبعدها ختمت الدراسة بأهم النتائج، ثم أتبعتها بقائمة اشتملت على أهم المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في البحث، هذا وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

تميز العصر العباسي بكثير من المميزات على جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية ، فمبجرد أن فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر، مضوا ينهلون من كل الثقافات والمعارف التي كانت منبثة في هذه البلدان ، واتجه العرب لمعرفة اللغات الأجنبية التي كانت تحمل الكثير من الكنوز المدخرة ، والتي بدورها ساعدت العرب في التحول السريع إلى أمة علمية تُعنى بكل جوانب العلم الذي كان معروفاً عند الأمم القديمة ، خاصة الفرس والهنود والسريان واليونان ، ولم يكتفوا بذلك بل أضافوا إليها علوماً جديدة تتصل بالقرآن والشريعة واللغة والنحو والعروض، ويحس كل من يتعقب الحركة العلمية في العصر العباسي ، كأن سباقاً نشب بين العلماء والعلم ، فهم يجدّون في طلب العلم وتحصيله ، وهذا الشغف العلمي الشديد هو الدافع الذي دفع العلماء إلى التنقل من بلد إلى بلد طلباً للعلم مما أدى إلى تغلغل الثقافة بين جميع أفراد الأمة بلا استثناء ، حتى لنجد العديد من النساء يختلفن إلى حلقات العلم ، كما نجد حركة الترجمة والنقل تزداد حدة وقوة ، وتنمو الترجمة عن اليونانية نموًا عظيماً، ويخيل إليك أنهم لم يتركوا حينئذٍ كتاباً يونانيًا إلا وترجموه إلى العربية ، ساعدهم في ذلك الأموال التي كان يقدمها الخلفاء والوزراء العباسيون إلى المترجمين [1].

ومن الملاحظ أن هذا العصر قد نشطت فيه الحركة العلمية والفكرية والعقلية، مما جعل العلماء يتجهون نحو التأليف والترجمة مبينين أفكارهم في ذلك

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٣، وانظر علي بن يوسف القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ج٢، ص١٧١. بتصرف

دون الخروج عن الطابع الأصيل، حتى في نظرياتهم وأفكارهم الفلسفية. وقد ظهر الاهتمام بالبلاغة واللغة حيث أخذ المتكلمون وخاصة المعتزلة يعنون بالبحث في اللغة ووجوه البلاغة، وساعدهم في ذلك الترجمة حيث جعلتهم يحاولون التعرف على ما عند الأمم الأجنبية منها، وأضافوا إليها كثيراً من ملاحظاتهم، ومضى اللغويون والأدباء طوال القرن الثالث الهجري يحاولون التعرف على مواطن الجمال والبلاغة في الكلام، ونشر ابن قتيبة [١] في كتابه "تأويل مشكل القرآن" ملاحظات منوعة عن الخصائص البيانية والأسلوبية. على حين ألمَّ المبرد [٢] في كتابه "الكامل" بالكتابة والتشبيه، وقد سرد كل ذلك في كتاب " قواعد الشعر"

(١) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ هـ-١٥ رجب ٢٧٦ هـ/٨٢٨ م-١٣ نوفمبر ٨٨٩ م) أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها. يعتقد أنه ولد في بغداد وسكن الكوفة ثم ولي قضاء الدينور فترة فنسب إليها، قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: «كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه وأبي حاتم السجستاني... وتصانيفه كلها مفيدة».

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة، وهو عوف بن أسلم من الأزد. (ولد ١٠ ذو الحجة ٢١٠ هـ/٨٢٥م، وتوفي عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩م)، أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في القرن الثالث الهجري كان المبرِّد واحدا من العلماء الذين تشعبت معارفهم، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية، ولد المبرد بالبصرة، ولقب بالمبرد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، تلقى العلم في البصرة على يد عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو وكان فقيها عالما بالنحو واللغة، كما تردد على الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، وسمع منه وروى عنه حتى عد من شيوخه، وكان من أعلم الناس بالشعر.

لثعلب [1] غير أن هذه الجهود كلها ليست شيئاً بالقياس إلى ما نثره الجاحظ المعتزلي المتكلم في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان"[2] ومن هنا ننطلق إلى أهم القضايا النقدية في القرن الثالث الهجري وأشهر الجهود النقدية مستشهدة بنماذج من كتابي البيان والتبيين والحيوان للأديب والناقد شيخ البيان عمرو بن بحر الجاحظ.

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، البغدادي النحوي، الشيباني أو ثعلب (٢٠٠ هـ-٢٩١ هـ) (٨١٦-٩٠٤)م ،إمام الكوفيين في عهده ،وثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية العلامة المحدث ،و إمام النحو، صاحب الفصيح والتصانيف ولد ببغداد وبها مات.

(٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط٢ دار المعارف القاهرة، ص٣، بتصرف.

المبحث الأول

أهم القضايا النقدية في عصر الجاحظ

أولاً: مقدمة القصيدة العربية:

كان العصر العباسي عصراً غير عربي الملامح حيث نجد العناصر غير العربية من أتراك وديلم وصقالبة، كما دخلت إلى الثقافة العربية ثقافات دخيلة نتيجة لحركة الترجمة التي قامت آنذاك، ومع ذلك فقد كان هناك بعض الشعراء والأدباء دعوا إلى ضرورة الالتزام بالتقليد الموروث والمحافظة على القديم بالرغم من تطور المجتمع، رغبة منهم في المحافظة على اللغة العربية السليمة التي كانوا يرونها في الموروث القديم ، حيث ساروا على نمط القصيدة التقليدية القديمة ، وهو أن تبدأ بالوقوف على الأطلال وبكاء الحبيب واستدعاء الذكريات وعرض البيئة في الصحراء، وغير ذلك مما هو موروث عن الصورة الشعرية القديمة، وإذا انتهى الشاعر من كل هذا دخل على الغرض الرئيسي في القصيدة بحسن تخلص ثم يخرج منه إلى الفخر بنفسه وقبيلته ثم ينتهي بأبيات من الحكمة أو المثل وتكون الحكم خلاصة تجربة شخصية أو جماعية. ثم لا يغفل النسب الملائمة من حيث الطول بين هذه الأجزاء وكيفية الربط ، والخروج من جزء إلى جزء آخر ، وطبيعة الصلة بين الأبيات المتعاقبة والأثر النفسي الذي يخلفه أو ينبغي أن يخلفه في المتلقي أو السامع، كل جزء من أجزاء القصيدة ، ثم القصيدة بتمامها ، ومن ناحية أخرى نجد أن هناك من يحرصون على أن يجئ المطلع ممهداً لغرض القصيدة ؛ أي أن يجئ الحديث عن الرحلة ووصف مناظر الصيد في الصحراء جزءًا متسقًا مع بقية أجزاء القصيدة ، وقد سجل الجاحظ هذا المذهب بقوله:" ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي

تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحًا أن تكون الكلاب هي المقتولة، ليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها، وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة والكلاب هي السالمة والظافرة"[1] ، إذا يرى الجاحظ أن لكل جزء من القصيدة وظيفة يؤديها ، تلك الوظيفة هي إحداث أمر معين في نفس السامع وفي سبيل هذا الأثر كانت صياغة أجزاء القصيدة، وكأن القدماء وضعوا مجموعة من الشروط لكل غرض من أغراض الشعر ، من فخر وهجاء ورثاء وغزل...إلخ. نستخلص من ذلك أن الجاحظ لم يخرج عن موقف نقاد عصره في الالتزام بالمنهج القديم والمحافظة على التقليد الموروث والسير على البناء القديم للنص، والدعوة إلى سهولة المقاطع والمطالع.

ثانياً: قضية اللفظ والمعنى:

تعتبر قضية اللفظ والمعنى من قضايا النقد العربي الهامة والمتكررة، التي أثارت جدلاً كبيراً في هذا العصر، وهي قضية قديمة عولجت في الأدب اليوناني حيث تحدث عنها أرسطو الذي اعتبر الألفاظ علامات على المعاني، وأنها تتفاوت فيما بينها جمالاً وقبحاً من حيث الدلالة على المعنى، وأن المتكلم يستعين بألفاظ تستر جانب القبح في الأشياء أو تكشف عنه، فالألفاظ يجب اختيارها بحيث تلائم مواقعها في الجملة.

وقد اختلفت مواقف النقاد في هذا العصر من هذه القضية فالبعض يقسم هؤلاء النقاد إلى مدرستين: إحداهما تعلي من قيمة الألفاظ وتحط من قدر المعاني، والمدرسة الأخرى تعلي من قيمة المعاني وتحط من قيمة الألفاظ. والبعض الأخر يقسم هؤلاء النقاد (القدماء) إلى أربع طوائف: أنصار للألفاظ وأنصار

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٢٠

للمعاني، وأنصار للمساواة بينهما، وأنصار للألفاظ من جهة دلالتها على معانيها. (١)

يقول الجاحظ: " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير "(٢). ولا أظن أن الجاحظ والنقاد الذين تعرضوا لقضية اللفظ والمعنى في عصره قصدوا باللفظ، اللفظ المفرد، وقصدوا بالمعنى المعنى المدلول المفرد للألفاظ ولكن المقصود هو المعنى الذي تدل عليه العبارة أو الجملة، إذاً كل ما يقال عن اللفظ والمعنى ينصرف إليها وعلى هذا الأساس يمكن الفصل بين اللفظ المركب في العبارة وبين المعنى المركب، بمعنى أن نظم الألفاظ في العبارة بصورة أو بأخرى يغير المعنى، وإن بقيت الألفاظ على حالها أو بالعكس، قد يمكن التعبير عن المعنى بصورة أو أخرى من اللفظ، أي قد يوجد اشتراك بين عبارتين في المعنى، وإن اختلفا في اللفظ، وعلى ذلك انقسمت الألفاظ والمعاني إلى طبقات فمنها الشريف ومنها الوضيع، يقول بشر بن المعتمر في صحيفته:" ومن أراد معنىً كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"(٣).
ويقول الجاحظ في ذلك: " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً أو ساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، فمن

(١) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، ط١، ١٩٦٤م، ص٦٦بتصرف.
(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص١٣١-١٣٢.
(٣) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، وانظر صحيفة بشر بن المعتمر، ج١، ص١٣٦

الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي، وبكله قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا. [١]

ويقول أيضاً:" وهناك معانٍ لا يمكن أن تسرق كوصف عنترة للذباب، فإنه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم، ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر "[٢]، ومن هنا نرى أنه لا يوجد رأياً ثابتاً في هذا العصر حول قضية اللفظ والمعنى ولكن أغلب النقاد تنم مواقفهم عن ذوق رفيع وثقافة كبيرة واطلاع واسع.

ثالثاً: قضية السرقات الشعرية:

تبدو هذه في أهميتها شبيهة بقضية اللفظ والمعنى، وربما فاقتها أهمية لانشغال الأدباء بها فترات طويلة، ولأنها كذلك قد اقتطعت جانباً كبيراً من جهود النقد العربي لانشغال النقاد بها على مر الزمن ، حيث وسعوا فيها مجال القول، ولقد أدى الاهتمام بإبراز المعاني المشتركة بين الشعراء إلى تتبع السرقات ، وتتصل قضية السرقات الشعرية بسابقتها (قضية اللفظ والمعنى) ،حيث كانت دافعاً لظهور هذه القضية، يقول الدكتور إحسان عباس:" لو سألنا أنفسنا ما هي الحاجة التي دفعت إلى هذا اللون من الاهتمام في ذلك القرن لوجدنا أن الانشغال بقضية المعنى، تلك التي أثارها الجو الاعتزالي العقلي، ذو صلة وثيقة بتوجيه النقاد إلى رصد المعاني المشتركة بين الشعراء، وأخذ اللاحق بينهم من السابق يستوي في ذلك القدماء والمحدثون"[٣].

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، وانظر صحيفة بشر بن المعتمر، ص١٤٤.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٣١١-٣١٢

(٣) د/إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، عمان، الأردن، ١٩٩٣م، ص٥٨

ومن أشهر الكتب التي تناولت هذه القضية في هذا العصر:[١]

١-كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه لابن السكيت.

٢-كتاب إغارة كثير على الشعراء للزبير بن بكار.

٣-كتاب سرقات البحتري من أبي تمام.

وقد كانت السرقات قديماً واضحة المعالم لأنها سرقة بيت أو بيتين أو أبيات بتمامها، أو بيت يغير فيه الروي مثل بيت طرفة بن العبد الذي يقول فيه:[٢]

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلّد

الذي سرقه من بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:[٣]

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمّل

وفي هذا العصر تغير الموقف بظهور الاتجاهات الجديدة في شعر المحدثين، الذين قاموا بالتجديد في المعاني والأساليب، إلا أن النقاد كانوا لهم بالمرصاد ولم يتقبلوا هذا الجديد بسهولة، فعابوا عليهم اللغة واتهموهم بضعف الأساليب واتكالهم على القدماء في أخذ المعاني والأساليب، كما رموهم بالسرقة ، وبلغوا في ذلك مبلغًا كبيرًا فيه كثير من التعسف والظلم.

وقد قسم النقاد السرقات إلى سرقات معنوية وسرقات لفظية حسب تصورهم للشعر قائمًا على دعامتي اللفظ والمعنى يقول الدكتور سلاَّم :" وليس لهذه السرقات اللفظية كبير شأن ، وخاصة إذا كانت في حدود البيت أو البيتين في القصيدة ، أما المآخذ المعنوية فكثيرة ومتعددة وهي أكبر خطرًا من المآخذ اللفظية لأنَّها تدل حقيقة على مدى ابتداع الشاعر وقدرته على التخييل والتصرف من

(١) ابن النديم، الفهرست، بيروت، ص١٤٦

(٢) ديوان طرفة بن العبد، ص٤

(٣) ديوان امرؤ القيس، ص٤٨

معاني الشعراء معتمدًا أو غير معتمد على غيره"[١] ، إذًا السرقات المعنوية هي التي تكشف لنا الشاعر المبدع الذي يستطيع التخييل، والتصرف في معاني الشعر سواء اعتمد على نفسه أو أخذ المعنى من غيره ، والألفاظ عبارة عن أدوات نستخدمها للتعبير عن المعاني المقصودة .

وإذا وقفنا عند موقف أشهر النقاد في هذا العصر نجد أن الأغلب منهم لم يتطرق لهذه القضية بشيء من التفصيل مثل ما تناولوا قضية اللفظ والمعنى ، ولكن توجد إشارات متفرقة في كتاباتهم ، ومن أشهر المحاولات محاولة أبي العباس المبرد في الكشف عن سرقات الشعراء، حيث أخذ يدل على المعاني المسروقة لا بين الشعر والشعر فحسب بل بين الشعر والنثر ، يقول المبرد:" فيقول أبو العتاهية:

يا عجبًا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

مأخوذ من قولهم: (الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك)

وكذلك قول ابن أبي عيينة:

إنَّ الليالي والأيام أنفسها من غير أنفسها لم تكتم الخبرَا

أخذه أبو تمام فقال:

لعمري لقد نصح الزمان وإنَّه لمن العجائب ناصح لا يُشْفِق

فزاد قوله : ناصح لا يُشْفِق على قول ابن أبي عيينة شيئًا طريفًا ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام"[٢]

(١) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، ط١،ص٧٢-٧٣

(٢) أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب،ج٢، ص٧٢-٧٥

المبحث الثاني

الجاحظ (حياته ونشأته وثقافته ومؤلفاته)

الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. يكُنّى بأبي عثمان، ويلقّب بالجاحظ لجحوظ عينيه. ولد في سنة ١٦٠ للهجرة و عاش قرابة قرن من الزمان. عاش الجاحظ في البصرة حياة متواضعة، فقد نشأ في الطبقة الاجتماعية الفقيرة ، ومع ضيق ذات يده لم يترك العلم والمطالعة فكان يجلس في حلقات العلم بالمساجد ، ويأخذ عن علماء اللغة وعلماء الكلام وغيرهم ، وقد أقبل على قراءة كل الكتب المترجمة [١]، وهذا الشغف بالعلم والاطلاع والقراءة هو الذي جعل رسائله وكتبه أشبه ما تكون بدوائر للمعارف، فليس هناك لون من ألوان الثقافة في عصره إلا وله فيه رأي وفكرة، وقد تخرج فى علم الكلام و الاعتزال على يد أبي إسحاق النظّام وقد تأثر الجاحظ بأستاذه هذا تأثراً بالغاً [٢] . ولم يدع الجاحظ علماً معروفاً فى أيامه إلا واطلع عليه، فقد درس الفلسفة و المنطق و الطبيعيات والرياضيات والتاريخ والسياسة والأخلاق والفراسة ، فإذا هو فقيه متكلم ، بارع فى اللغة والأدب ، راوية للأخبار والأشعار ، باحث في الحيوان والنبات. ناقد للأخلاق والعادات، عالم بالفلك والموسيقى والغناء، فكان الجاحظ ذا ثقافة واسعة جداً ، فقد جمع فى صدره كل معارف عصره من الأدب والدين والعلم والفلسفة. فلمّا اجتمع له قدر صالح من العلم والأدب قصد بغداد واتصل فيها بالكبار من

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي سنة النشر: ١٩٩٣م ، الجزء الخامس، ص٧٤

(٢) دكتور شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية١٩، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر، ص١٥٤- ١٥٥بتصرف

رجال الدين وعلماء اللغة. وقد أصيب الجاحظ بالفالج فى أواخر عمره واشتدت الأعوام عليه وضعفت قواه، فعاد إلى البصرة ولزم بيته حتى مات فى المحرم سنة ٢٥٥ هـ بالبصرة[١].عاش الجاحظ قرابة المئة عام وكان العصر الذي عاش به عصر ازدهارٍ لكافة العلوم العربيّة والإسلاميّة، فقد تبوّأت اللغة العربية مكانة رفيعةً في تلك الفترة، كما نشطت حركة الترجمة والنقل عن الثقافات الأجنبيّة، وقد شهدت الدولة الإسلاميّة أيضًا نهضةً ورقيّاً في كافة ميادين الحياة، ويعود الفضل في ذلك التقدم والازدهار للخلفاء والوزراء، كما انتشرت الأسواق الأدبية التي كانت تُقام فيها حلقات الشعر ويُعرض فيها كلّ جديد في اللغة والأدب مثل سوق المربد[٢]، مما ساعد الجاحظ أن يكون أكثر الكتّاب تأليفًا وإنتاجًا، فقد تنوع نتاجه بين مؤلفات ورسائل عالج فيها مختلف العلوم وشتّى الفنون، فكتب عن الأدب و الشعر و الديانات والعقائد والإمامة والنبوة والمذاهب الفلسفية. وبحث في السياسة والاقتصاد والأخلاق وطبائع الأشياء.

وتكلم عن العصبية وتأثير البيئة ونظر فى العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية، وكتب فى المدن والأمصار والمعادن وجواهر الأرض ، والكيمياء والنبات والحيوان والطب والفلك والموسيقى والغناء والجواري والغلمان والعشق والنساء والنرد والشطرنج وغير ذلك مما يتناول الحياة

(١) الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، المجلد الأول ص١٩٩-٢٠٠ بتصرف.

(٢) كامل عويضة، الجاحظ -الشاعر الأديب الفيلسوف، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٦،٥،٧ بتصرّف.

الاجتماعية والأدبية والعلمية فى عصره وقبل عصره [١].

كان الجاحظ ذكياً جداً وصبوراً على طلب العلم، وقد تتلمذ على أيدي فحول العلم والأدب حينذاك، وقد تثقف بثقافة المعتزلة ؛حيث كانوا يهتمون بالاطلاع على الديانات الأخرى ومعرفتها جيداً لأنّهم جعلوا من أنفسهم دعاةً للإسلام، وكانوا يعتقدون أنّ عليهم أن يكونوا على معرفة تامة بدينهم وبالديانات الأخرى، فدرسوا الفلسفة اليونانية لأنّ أعدائهم كانوا قد اتخذوها وسيلةً للدعوة إلى دينهم، لذا درسوا ثقافة أرسطو وما فيها ، وصبغوها بطابعهم الديني، ولأنه كان شديد الولع بالقراءة والمطالعة، حتى أنّه كان يستأجر دكاكين الوراقين ويبيت فيها للقراءة والدراسة، فقد اندمج في الحياة الواقعيّة واستفاد منها، حيث تنوّعت المواضيع التي درسها وكتب فيها، وقد كان لاندماج الجاحظ في المجتمع واختلاطه بكافة فئاته ومجالسته للأدباء والشعراء والملوك والأمراء الأثر الواضح في تنمية معرفته وزيادة تجاربه.[٢]

كتب الجاحظ في كل العلوم وفنون الأدب في زمانه، كما أنّ كتبه تجمع بين الفائدة والعلم والمعرفة والمتعة، والبراعة في التعبير وسحر البلاغة في الأسلوب، والتشويق والنوادر والسخرية، ويقال إنّ الجاحظ هو أول من بدأ التأليف في الأدب وعلى نهجه سار الأدباء والمؤلفون، حيث تعتبر مؤلفاته مراجعًا هامة جدا في أدب العرب، وقد وردَ في مقدمة كِتاب التاج أن الجاحظ ترك نحوًا من ثلاثمائة

(١) الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، المجلد الأول ص٢٠٢-٢٠٣ بتصرف.

(٢) كامل عويضة، الجاحظ -الشاعر الأديب الفيلسوف، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٢٣ بتصرّف.

وستين مؤلّفًا رآها سبط ابن الجوزي كلها تقريبًا في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد.(١)

أبرز مؤلفات الجاحظ هي :

أولًا: الحيوان وهو أوّل كتاب جامعٍ وضع في علم الحيوان والذي يتكون من سبعة أجزاء ويبحث عن طبائع الحيوان وما ورد فيه من الأخبار والقصص والنوادر والخرافات والفكاهة والمجون، والذي تحدث فيه الجاحظ عن العرب، وأحوالهم، وأخبارهم، وأشعارهم، إضافةً لما قام به من تجاربٍ بنفسه، وقد تميز الكتاب بالاستطراد، فقد كان الجاحظ يستطرد داخل الموضوع نفسه لإمتاع القارئ فينتقل به من موضوع إلى آخر، وقد ضم الكتاب موضوعات شتى وأخبار ممتعة وفوائد قيّمة تمثل معظم المعارف الإسلامية وما بلغته في القرن الثالث، كما احتوى كتاب الجاحظ على الكثير من تفسير آيات القرآن الكريم والحديث الشريف، والأشعار الجاهلية والإسلامية لكبار الشعراء المخضرمين، وآراء المتكلمين ومذاهب الفرق الإسلامية، وشبه الملحدين والزنادقة والرد عليهم، بالإضافة إلى معارف الهنود واليونان والفرس، مما ترجمه العرب ومما تسوق إليه المناسبة في ذلك الكِتاب.(٢)

ثانيًا: البيان والتبيين تناول الجاحظ في هذا الكتاب موضوعات متفرقة، مثل علم الأدب والبيان، وفنّ القول، ووجوه البلاغة والفصاحة، وآفات اللسان، وميّز بين عيوب الناس في النطق مثل اللثغة واللكنة والحصر والعيّ، كما خصص باباً واسعاً للخطابة لأنّها كانت في عصره رمزاً للفصاحة والبلاغة، وطريقة من طرائق الجدل وعلم الكلام، فتحدث الجاحظ عن أصولها وقواعدها وذكر شيوخها

(١) خليل مردم، الجاحظ: أئمة الأدب، مصر: هنداوي، صفحة ٢١،٢٢، الجزء الأول. بتصرّف

(٢) المرجع السابق ، ص٣٢،٣١بتصرف.

وأعلامها، ووضّح عيوبها ودعا إلى تجنبها وذكر صفات الخطيب الناجح، كما تناول الكثير من نماذج الشعر والحكم والأقوال، وقام بتحليل ونقد بعض المقطوعات الشعرية، وذكر أيضاً بعض القضايا النقدية التي كانت موجودة على أيامه، كثنائيّة اللفظ والمعنى، والقديم والحديث والسرقات، والمذهب البديعي، وتعرض أيضاً إلى القصص والأخبار والرواية، كأخبار الشعراء والخطباء والقُصاص وغيرهم، وقد جمع الجاحظ في تصانيف كتابه بين الجد والهزل، وملأه بروح الدعابة والفكاهة، مما جعله مميزاً ونادراً.(١)

ثالثًا: البُخلاء وهو كتاب علم وأدب وفكاهة، وهو عبارة عن وصف للحياة الاجتماعيّة في صدر الدولة العباسيّة، بأسلوبه المعروف ببيانه الجزل الرصين، كما أضفى عليه من روحه الخفيفة، فأخبر في كتابه عن أسرار البيوت وخفاياها، وأحاديث الناس في أمورهم الخاصة والعامة، وكشف عن الكثير من صفاتهم وعاداتهم وأحوالهم في أوضح بيان، وأدق تعبير، وأبرع وصف، وقد يبدو للوهلة الأولى أن الجاحظ كان قد كتب كتاب البخلاء وهو في سنّ الشباب، وهو سنّ العبث والسخرية والتندر في عيوب الناس، لكن ما يظهر في الكتاب من أخبار يقود إلى أنّه كتب الكتاب أو جمعه وهو هرِم يحمل فوق كتفيه أعباء السنين.(٢)

رابعًا: كتاب التّاج في أخلاق الملوك اشتهر هذا الكتاب باسم (أخلاق الملوك)، وقد وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسيّة وقبّة الإسلام، أيام

---

(١)عمر بن طرية (٢٠١٧)، "كتب الأخبار وأثرها في النقد العربي القديم، البيان والتبيين للجاحظ أنموذجاً"، العلامة، العدد ٤، صفحة ٥. بتصرّف.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٩٣٨م)، البخلاء، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، صفحة ١٤-١٣، الجزء الأول. بتصرّف

كان العراق مزدهراً بالعلوم والمعارف، وكان طلاب العلم والآداب يقصدون مُدنه وقراه، فيروي هذا الكتاب قصصاً نادرة عن حياة الملوك والأمراء في عصر الجاحظ ويقدم فيه أسلوب حياتهم، وقد وصف فيه الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة إلى ما هنالك من طرائف ملوكية وترتيبات سياسية اقتبس العرب بعضها من الفرس خاصة في عهد المأمون، وفي الكتاب يظهر التأثير الكبير للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلاميّة على عهد العباسيين. شرح الجاحظ في كتابه أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في خلواتهم وأنديتهم ووصفهم في ليالي أنسهم وسهرهم، ومسارح لهوهم ومراتع طربهم، وتحدث أيضاً عن أساليبهم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب، هذا ودلت عبارات الكتاب على أنّ الجاحظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى، وأورد بعض سننهم التي لم يبقى لها مجال بعد ظهور الإسلام، لذلك يُعتقد أنّ الجاحظ كان قد استعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية.[1]

خامساً: رسائل الجاحظ وهي من الآثار الأدبيّة الشهيرة التي انتشرت قديماً وحديثاً وطُبعت عدة مرات، وشرحها علماء معروفون، وهي مجموعة من الرسائل النادرة التي تبحث كلّ واحدة منها في موضوع واحد بعمقٍ واستفاضةٍ تثير الإعجاب والتقدير لهذا العقل الجبار، فيعتقد القارئ أنّ هذا الكاتب متخصص بهذا الموضوع فقط، كما يأتي بالإثباتات والأدلة التي تدعم فكرته، مما يجعل قوته الفكرية تبرز دهشتنا بعظمته، ومما يزيد من أهمية هذه الرسائل أنّها حفظت لنا

(١) أبو عثمان الجاحظ (١٩١٤)، التاج في أخلاق الملوك (الطبعة الأولى)، القاهرة: المطبعة الأميرية، صفحة ٢٣، ٢٤، ٢٥. بتصرّف.

نوادر من الشعر لا توجد في مصادر أخرى، مثل شعرٍ لأبي دلف، ولابن أبي فنن، وسعيد بن حميد، والعكوك وغيرهم.(١)

هكذا نجد أن الجاحظ قد تبوأ مكانة لغويّة وعلميّة عظيمة بين اللغويين والعلماء والأدباء العرب، فقد ساروا على نهجه؛ فقد اشتُهر الجاحظ بأسلوبه الإنشائي الذي لا يوجد من كتّاب العربية من يتفوق عليه فيه، ، فامتاز برقيّ الألفاظ والجمل، والسهولة والوضوح، وسحر البيان، وكثرة الاستطراد حتى يخرج بالقارئ عن الموضوع الرئيسي ليتناول موضوعاً غيره ثمّ يعود للموضوع الأول، كما تظهر شخصية الجاحظ بقوة في كتاباته، وهذا يدل على غزارة مادته وجزالة ألفاظه وعباراته وكثرة المران على الجدل، فلم يترك الجاحظ موضوعاً من مواضيع الحياة إلا وكتب فيه، ثمّ إنّ أدب الجاحظ واقعي صريح يصور الحقيقة كما هي، ويرى في ذلك السبيلَ القويم فيدعو إليه ويعيب من يرغب عنه.(٢) كما امتاز أسلوب الجاحظ أيضاً بالسخرية والنظر الثاقب، وخصوبة الخيال، وخلط الجد بالهزل، وقد واستطاع بما تمتع به من مؤهلات البحث اللغوي أن يترك آراء قيّمة في نشأة اللغة وتطورها، والكثير من الآراء في الظواهر اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية، فكتب في اللغة عن نشأة اللغة، والعلاقة بين اللغات وبعضها، وتفضيله بعض اللغات على بعض، وأول من تكلم بالعربية، وأثر المجتمع على اللغة، والتطور اللغوي، وعيوب الكلام، وأما النحو فلم يتوسع الجاحظ في دراسته لتحفظه على هذا العلم والخوض في بحوثه على الرغم من علمه بقضايا النحو الكبرى التي عرض بعضها في كتبه، مثل قضية الجمع،

(١) أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ، بيروت: دار الكتاب العلمية، صفحة ٣،٥،٦، الجزء الأول. بتصرّف

(٢) خليل مردم، الجاحظ: أئمة الأدب، مصر: هنداوي، صفحة ٢١،٢٢، الجزء الأول. بتصرّف

وقضية التركيب الإضافي، وقضية المؤنث والمذكر، وقضية التصغير، كما اهتم الجاحظ بالثقافة الصوتية، فتحدث عن الجهاز الصوتي، ومخارج بعض الأصوات، ومخرج الهواء والقوانين الصوتية، وأصوات الأمم.[١]

كان الجاحظ شاعراً وأديبًا وفقيهًا ومتكلمًا ومحدثًا، وناقدًا فذًا ترك آراء وأفكار قيّمة في النقد وقضاياه مهدت السبل لمن جاء بعده وإلى يومنا هذا، ونتناول في المبحث القادم أهم القضايا النقدية التي ذكرت في كتابي (البيان والتبيين والحيوان).

(١) فدوى الخوالدة، ثقافة الجاحظ الأدبية والنقدية واللغوية في كتاباته، الأردن: جامعة آل البيت كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفحة ٩٥،٩٦. بتصرّف.

المبحث الثالث

أهم القضايا النقدية في كتابي (الحيوان والبيان والتبيين)

إن تتبع كتب الجاحظ ورسائله يكشف لنا عن عقلية نقدية بارعة تستطيع التعامل مع مختلف الموضوعات المعرفية، والعلمية والأدبية، ومن ذلك نقده لعلماء عصره ومحدثيه ورواته وفقهائه والعلماء السابقين، ويتفق الباحثون المعاصرون في أن الجاحظ أسس قواعد ثابتة للنقد الأدبي ووضع لها أحكاماً عادلة، فهو ناقد تعادلي يؤمن بفكرة التسوية التي تجعل الألفاظ على قدر المعاني، والجاحظ يمثل الفكر المتحضر المنفتح فهو يحكِّم الذوق أولاً وأخيراً في كل شيء وقد نجد بعض الجوانب الفلسفية في نقده، ولا بد من التذكير بأن الجاحظ أفاد فائدة جليلة من الفكر المعتزلي ووظف هذه الأفكار في خدمة منهجه النقدي ليكون لنفسه رؤية نقدية قادرة على استيعاب جوانب النظريات النقدية وبهذا يعتبر أكبر ناقد عربي ظهر في عصره.

من أبرز القضايا النقدية التي عرض لها الجاحظ في كتبه قضية اللفظ والمعنى، التي أخذت جانبًا مهمًا في حركة النقد العربي قديمه وحديثه، فهي بلا شك قضية كبرى لأنها متصلة بالعملية النقدية، لأنها تعالج بنية العمل الأدبي وصياغته الشكلية والمعنوية، وللجاحظ رأي شهير في ذلك، فهو يرى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه، وذلك لا يتم إلا عن طريق المزاوجة والانسجام والتلاؤم والتلاحم بين المعنى الشريف واللفظ البليغ من حيث الاختيار الذوقي ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، يقول في ذلك :" وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ

بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً من التكلف صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة " [١]

ويرى الجاحظ أن المعاني حق مشاع لكل الطبقات على اختلاف بيئاتهم ومستوياتهم وهي مطروحة في الطريق وهنا يعلي من شأن المعاني وينوه بألوان المعاني الغريبة العجيبة والشريفة الكريمة والبديعة المخترعة، ويبين كيف يتنازعها الشعراء ويدعي كل أنها من بنات أفكاره ووحي خياله، يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير الألفاظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[٢] ، إذًا ما يقابل المعاني المطروحة في الطريق في هذه النظرية ليست الألفاظ لأنها هي أيضًا مطروحة في الطريق ، وإنما يقابلها السبك والنسيج والتصوير ، أي النظم وهو التأليف والإنشاء عند الجاحظ ، يقول في حديثه عن النظم القرآني: " وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج"[٣]، ويقول: "وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد"[٤]، فهو يرى أن الإعجاز القرآني لا يفسر إلا عن طريق النظم ، ولأنه لا يتصور نظمًا خاليًا من المعاني النفسية نجده يقول : " ومن أعاره الله من معونته نصيبًا وأفرغ عليه من محبته ذنوبًا جلبت إليه المعاني وسلس له النظام"[٥] إذًا معونة الله للأديب تكون

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٨٣

(٢) الحيوان ج٣، ص١٣١-١٣٢

(٣) البيان والتبيين ج١، ص٣٨٣

(٤) الحيوان ج٤، ص٩٠

(٥) البيان والتبيين ج٢، ص٨

بمنحه الموهبة وصحة الطبع والقدرة على تهذيب المعاني الوجدانية وتصويرها فنيًا في بناء محكم التأليف بديع النظم يحقق القبول الجميل عند السامع والمتلقي. فالتعبير الفني يعتمد على العلاقة القوية بين المعنى واللفظ المعبر عنه بإعطاء المعنى حظه من اللفظ، وإعطاء اللفظ حظه من المعنى، يقول: " إذا كان الشعر مستكرهًا وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلًا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مُرضيًا موافقًا كان على اللسان عند إنشاد الشعر مؤونة"[1] ولذلك فهو لا يستجيد قول الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال[2]

فهو ينكر شاعرية البيتين لخلوهما من القيمة الجمالية ويسقط عن صاحبها الطبع والفن لأنه جاء بمعانيه الشريفة في ثوب تقريري وعظي إرشادي وليس في ثوب شاعري، مما يؤكد اتجاهه نحو الشاعرية فهو يرى أن البيتين يخلوان من القيمة الجمالية مع أنهما يحملان معنى أخلاقيًا، لكن المتذوق لا يعنيه المعنى بقدر ما يعنيه السبك والصياغة التي تشتمل على عناصر الإبداع والتي تحدث انسجامًا وتأثرًا وتأثيرًا بين الشاعر والمتلقي.

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٦٦-٦٧

(٢) هذان البيتان لشاعر كان أبو عمرو الشيباني يستحسن شعره، وأنه كلّف رجلا فأحضر دواة وقرطاسا وكتبهما له. يبدو أن الشيباني أُعجب بما في البيتين من حكمة ولم يكن معنياً بغير ذلك من الخصائص الشعرية. وبالنسبة للجاحظ الذي كان يرى أن الشعر صناعة من الصناعات؛ فقد انتقد الشيباني لإعجابه بالمعنى فقط دون غيره.

وإذا تأملنا قول الجاحظ: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[١] ندرك تمامًا أهمية اللفظ من المعنى في نظر الجاحظ فهو يدعو إلى التجويد اللفظي وحسن الصياغة، والتسوية والملائمة بين الألفاظ والمعاني، ويؤكد على العلاقة الوثيقة بين الألفاظ ومعانيها بقوله: "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والإفصاح في موضع الإفصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال" [٢]، ويشير إلى أن الحكم الجمالي في الألفاظ مغاير للحكم الجمالي في المعاني لأن الألفاظ رموز والرمز من صنع الإنسان ، والمعاني والأفكار والخواطر والأحاسيس أشياء معنوية تتصل بالنفس والروح والعقل والمعاني لا تعرف الحد والحصر بقوله:" ثم اعلم – حفظك الله– أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة محدودة". [٣]

إذًا هناك علاقة وجدانية عقلية تجمع بين الألفاظ والمعاني وتجعل الفصل بينهما ليس من السهولة أو اليسر، فهما يمثلان تلازم الجسد والروح، فالشعور والإحساس بالجمال والحركة شيء كامن في المعاني يقول الجاحظ في رسائله:" والأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدن والمعنى للفظ روح –لو أعطاه الله للإنسان – الأسماء بلا معانٍ لكان كمن وهب شيئًا

(١) البيان والتبيين، ج١، ص١١٥

(٢) الحيوان، ج٣، ص٣٩

(٣) البيان والتبيين، ج١، ٧٦

جامدًا لا حركة له وشيئًا لا حس فيه وشيئًا لا منفعة عنده"[١]، إذًا القاعدة العامة عند الجاحظ تقوم على مطابقة اللفظ للمعنى ومراعاة مقتضيات الحال وظروف القول لتحقيق وظائف اللغة من حيث الجمال والتواصل والحضور النفسي للصورة الشعرية.

والجاحظ يركز أيضًا في كثير من الأحيان على ملكة الذوق والتي عبر عنها بقوله: "والإنسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التَخيُر ... حتى قيل: متى يكون الأدب شرًا من عدمه؟ قال: إذا كثر الأدب، ونقصت القريحة " [٢] ويشير الجاحظ في هذا النص إلى أن الذوق ينمو ويرقى بالتعلم والتأمل في كتب الحكماء، وأن انعدام الذوق يكون بالجهل وأن الذوق يفسد بترك التَخيُر، ونقصان القريحة.

وقد اهتم كثيرًا بقضية الطبع والصنعة والطبع هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان والقدرة على الكلام بديهة وارتجالًا، يقول الجاحظ:" فكل شيء للعرب فإنَّما هو بديهة وارتجال وكأنه وحي وإلهام وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكرة ولا استعانة، وإنّما هو أن يصرف همّه إلى الكلام ...وإلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالًا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالًا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده"[٣]، إذًا نخلص إلى أن الطبع عند الجاحظ هو الاعتماد على النفس في التعبير عن الذات والموضوع دون

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، نشر مكتبة الخانجى، ج٤، ص٢٦٢

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٨٦

(٣) البيان والتبيين، ج٣، ص٢٨

جهد أو تعب أو استعانة بشيء خارجي، فالمطبوعون هم الذين تأتيهم المعاني سهوًا ورهوًا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالًا.[١]، يقول:" والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوًا ورهوًا مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمرًا وأحسن موقعًا من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج". [٢]

والصنعة إتقان العمل وتجويده، وهي والطبع عاملان مترابطان لا غنى لأحدهما عن الآخر حتى يكتمل العمل الأدبي، وتختلف الصنعة عن التصنيع في أن التصنيع هو التكلف في الشيء، وقد يكون تكلفًا حسنًا غرضه التنقيح والتجويد كرواد مدرسة الحوليات مثل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وغيرهم يقول:" من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا وزمنًا طويلًا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه اتهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره إشفاقًا على أدبه وإحرازًا لما خوله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلًاخنديدًا وشاعرًا مفلقًا". [٣]

ويرى الجاحظ بنظرته الناقدة أن خير الكلام ما صدر عن الطبع وبعد عن التكلف والتصنيع يقول:" ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمونها"[٤]، ويقول:" وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا وكان صحيح الطبع بعيدًا على

(١) البيان والتبيين، ج٢، ص١٣
(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٢٨
(٣) المرجع نفسه ، ج٢، ص٩
(٤) المرجع نفسه، ج٢، ص١٨

الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[١]

إذًا من كلام الجاحظ نفهم أن للصنعة أثرًا كبيرًا في بقاء الأدب وخلوده وسهولته وروايته وجريانه على الألسنة، ولولا الصنعة لاندثر الأدب كما اندثر الكلام المنثور لأنه لا يُحفظ إلا العمل المنقح المجود؛ ولهذا كان بشار بن برد مقدمًا عنده بسبب سهولة معانيه ورقة ألفاظه يقول: "والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة وبشار أطبعهم كلهم"[٢] ومن هنا نخرج إلى قضية أخرى اهتم بها الجاحظ كثيرًا حيث دعا النقاد إلى ترك تعصبهم للشعر القديم وتذوق الشعر الحديث لأنهم سيقفون على روح جديدة وشعر جميل في المعنى والشكل، فهو لا يرى للقديم ميزة لأنه قديم ولا للحديث نقص لأنه حديث، فالشعر الجميل عنده هو الشعر الذي لا تكلف ولا تصنع فيه، وأن مقياس التفاوت بين شعر وآخر هو جودة المعاني والألفاظ ،والذوق الناضج.

والجاحظ في موقفه من قضية الصراع بين القديم والحديث لا يعتقد بتفضيل شعر قديم على شعر حديث يقول في ذلك:" وقد رأيت أناسًا منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان"[٣] وعندما تحدث عن أبي نواس قال: "وإن تأملت شعره فضلته إلا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أبدًا أشعر وأن

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٨٣

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٥٠

(٣) الحيوان، ج٣، ص١٣٠

المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبًا"[١] بل إننا نجده يفضل قصيدة لأبي نواس المولد على قصيدة للشاعر العربي القديم المهلهل في الشاعرية[٢].

ومن القضايا التي تناولها الجاحظ أيضًا قضية السرقات الشعرية والتي عرفها بأنّها أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض وهي لا تكون في أي معنى بل في المعاني الغريبة أو المعاني الشريفة الكريمة أو المعاني المخترعة المبتكرة ، وأضاف أن السرقات تكون بأخذ معاصر من معاصر أو متأخر من متقدم ، يقول:" ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنًى غريب وعجيب أو في معنًى شريف كريم أو في بديع مخترع إلّا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يعد – أي لم يقدر – على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكًا فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال إنه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول هذا إذا قرّعوه به "[٣] إذًا يرى الجاحظ أن السرقة قد تكون بسرقة اللفظ والمعنى معًا، أو بسرقة المعنى وبعض اللفظ ، أو بالمعنى فقط ، والشاعر يعتبر نفسه شريكًا في المعنى مع صاحبه الأول وإذا سُئِل عن ذلك أجاب أن المعاني متاحة للجميع لا يملكها أحد ، ولا ينبغي أن يدعي ملكيتها أحد، وأن المعاني المشتركة مع اختلاف الألفاظ والأوزان يصعب فيها تحديد الآخذ والمأخوذ منه لأن كل شاعر يدّعي بأن المعنى له لم يسمعه من

(١) الحيوان ، ج٢، ٢٧

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص١٢٩

(٣) المرجع نفسه ، ج٣، ص٣١١

غيره ، مؤكدًا على أن هناك معانٍ لا يمكن أن تسرق كوصف عنترة للذباب يقول:" إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم ، ولقد عرض له به المحدثين ممن كان يحسّن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلًا على سوء طبعه في الشعر"(١) . قال عنترة:

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغني وحده هزجًا كفعل الشارب المترنم
غردًا يحك ذراعه بذراعه فعل الكب على الزناد الأجذم(٢)

ويعود إعجاب الجاحظ بهذه الأبيات إلى المعنى وجودته ، يقول:" ولم أسمع في هذا المعنى بشعرٍ أرضاه غير شعر عنترة"(٣) . ومهما كان موقف الجاحظ من هذه القضية فقد فتح مجالًا واسعًا لمن جاء بعده من النقاد للبحث في باب السرقات الشعرية.

ولم تقف الجهود النقدية للجاحظ عند هذه القضايا فحسب فقد كان لديه مواقف عديدة تجاه موضوعات أثارت ضجة كبيرة في مجال النقد الأدبي وأشهرها قضية انتحال الشعر فقد دعا إلى التمييز بين الصحيح والمنحول في الشعر ، يقول:" إن بعض المولدين ولَّدوا على لسان خلف الأحمر والأصمعي أرجازًا كثيرة فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء! ولقد ولَّدوا على لسان جحشويه في الحُلاق

(١) الجيوان، ج٣،ص٣١٢
(٢) كتاب شرح المعلقات السبع، أبي عبدالله الزوزني، لجنة التحقيق في الدار العالمية ص١٢٩
(٣) الحيوان،ج٣،ص٣١٢

أشعارًا ما قالها جحشويه قط (*)، فلو تقذروا من شيء تقذروا من هذا البـــاب"(١) وقد تحدث عن الوحدة العضوية وهي التسلسل والترتيب بين أبيات القصيدة، فهو يؤكد على التلاحم والترابط بين أجزاء النص لأنها مما يسهل حفظـــه وانتشـــاره وجريانه على اللسان، يقول: " وأجود الشعر ما رأيته مـــتلاحم الأجـــزاء ســـهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا وسبك سبكًا واحدًا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"(٢) ، وحذر من بناء القصيدة على أسلوب واحد وطريقة واحدة كالحكمة مثلًا، لأنها تضعف البنية العامة للنص، يقول:" لو أن شعر صـــالح ابن عبدالقدوس وسابق البربري كان مفرقًا في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة فـــي الآفـــاق، ولكـــنَّ القصيدة إذا كانت كلها أمثالًا لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لـــم يخـــرج السامع من شيء لم يكن لذلك عنده موقع"(٣).

ولديه رؤية في الشعر فهو ليس الكلام الموزون المقفى كما ذكر بعـــض النقاد في عصره، بل هو الكلام الموزون المقفى المقصود بـــالنظم والصـــياغة ، يقول:" لقد سمعت غلامًا يقول لصديق له، وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى. إن وزن هذا الكلام فـــاعلاتن مفـــاعلن

(*) جحشويه(الشاعر الماجن الشهير) شاعر من العصر العباسي، وردت سيرته في الطبعة الثالثة من كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز في أخبار جحشويه تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ولم يذكر سبب منحه هذا اللقب،ص٣٨٧.

(١) الحيوان،ج٤،ص١٨١

(٢) البيان والتبيين،ج١،ص٦٧

(٣) المرجع السابق،ج١،ص٢٠٦

فاعلاتن مفاعلن مرتين . هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبدًا"[١]

وكان له موقف من نقاد عصره وخاصة ابن سلام الجمحي في نظريته التي تقول: إن الشعر يكثر بالحروب وقد رد عليها الجاحظ بأن ليس لكثرة الحروب والوقائع دخل في كثرة الشعر، يقول:" وبنو حنيفة مع كثرة عددهم، وشدة بأسهم، وكثرة وقائعهم، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرا كلها، ومع ذلك لم يُرَ قبيلة قط أقل شعرًا منهم".[٢]

والحديث عن الشعر ومفهومه والتجربة الشعرية عند الجاحظ يطول فقد تحدث عن قيمة الشعر وفوائده ، ودعا إلى المحافظة على الوزن والقافية لأنهما السر في خلود الشعر العربي، وهذه الميزة جعلت الشعر العربي لا يخضع للترجمة، يقول في ذلك:" وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى كل من تكلم بلسان العرب، والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوَّل تقطَّع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب"[٣] وقد كان يربط قوة الشعر وروعته بالبادية ؛ لأنه يعتبر أن البادية هي مصدر الفصاحة وأساسها. مؤكدًا على أن جودة الشعر تتحقق بتوفر الجودة في الطبع والصياغة اللفظية والوزن والتصوير . فكان يرى أن الشعر يقوم على أربعة أركان؛ الصبغة، والصياغة اللفظية، والوزن، والتصوير، ومن آراء الجاحظ في الشعر أنه اعتقد أنّ الشعر حديث الميلاد، فعاد به إلى امرئ القيس والمهلهل، كما أرجع جذوره

(١) البيان والتبين،ص٢٨٩

(٢) الحيوان،ج٤،ص٣٨٠

(٣) المرجع السابق،ج١،ص٧٤

إلى أرسطو وأفلاطون في الأدب اليونانيّ القديم. زكان يرى أنّ للشعر قيماً منها فردية تعود إلى الشاعر المادح والممدوح، ومنها اجتماعيّة، وهي التثقيف وما يلعبه الشعر في حياة العرب، فهو الذي أشاد بمُثلهم العليا، كالمروءة والكرم والشجاعة، فالشعر هو سجل مآثرهم، كما ذكر الجاحظ وظيفة أخرى للشعر فنيّة ووظيفة نفسيّة كذلك. وقد كان لا يعتبر الشعراء كلهم في مرتبة واحدة من حيث إجادة الشعر، فكان يرى أنّهم مقسمون إلى طبقات مختلفة، فمنهم الذين يهتمون بتنقيح شعرهم وتهذيبه وإعادة النظر فيه، فهو يعتبرهم متكلفون ومتصنعون في شعرهم، أما من لا يبالغوا في تنقيح أشعارهم، ولا يتكلفوا في صنعتها فقد أطلق عليهم اسم الشعراء المطبوعين؛ أي الذين يكونون على طبيعتهم دون تكلُّف وتصنُّع. ومن آرائه أيضًا أنّه رفض بناء القصيدة على وتيرة واحدة وفي موضوع واحدٍ.[1]

(١) أماني رضا، ويسرا شاردمان (٢٠١٢)، "دراسة آراء الجاحظ حول الشعر ونقده"، دراسات النقد والترجمة في اللغة العربية وآدابها، العدد الثاني٢، صفحة ٤٠. بتصرّف

الخاتمة

مما لا شك فيه أن كل فن من الفنون ، أو علم من العلوم يبدأ مع حاجة الإنسان إلى التفسير والتعليل للظواهر المختلفة التي تطرأ عليه، ومن هنا نختم بدعاء الجاحظ في خطبته التي استهلَّ بها كتابه (البيان والتبيين)، يقول:" اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي والحصر" وهو استهلال يشير إلى غاية الجاحظ في إيثار البيان والفصاحة والوضوح والسهولة والترتيب وحلاوة المنطق، وتجنب العي والحصر"[1]. وهنا نخلص إلى النتائج التالية:

أولًا: يُعد كتابا (البيان والتبيين والحيوان) من أهم الكتب النقدية التي عبرت تعبيرًا واضحًا عن نضج النظرية النقدية عند الجاحظ، وأثر علم الكلام والفلسفة الإسلامية في ثقافته النقدية؛ فقد نظر الجاحظ إلى المعايير النقدية نظرة شاملة موحدة ، عبرت عن رؤية نقدية مكتملة ، فلقد كانت معايير مثل قضية الحديث والقديم محسومة قبل عصره في التعصب للقديم وإيثاره على الحديث ،لكنه منحها تصورًا جديدًا نابعًا من وعي نقدي، وموقف صائب حول ضرورة إنصاف الجيد والابتعاد عن التعصب للقديم .

ثانيًا: ظهر في كتابي (البيان والتبيين والحيوان) أن النقد أحد أبعاد مواهب الجاحظ العبقرية ،فلم يكن ناقدًا تقليديًا ورث آراءه ومواقفه عن شيوخه وأساتذته دون أن يكون له موقف منها ، بل استطاع أن يكِّون لنفسه رؤية نقدية قادرة على استيعاب مختلف جوانب النظرية النقدية ؛ فقد استفاد فائدة عظيمة من الفكر

(١) البيان والتبيين،ج١،ص٢٧

المعتزلي الذي وظَّفه بدوره في منهجه النقدي ، حيث أثرى فيه فلسفته البلاغية ، ورؤيته الأدبية.

ثالثاً: لا نستطيع أن نعتبر كتابي(البيان والتبيين والحيوان) كتبا مستقلة في النقد، لأن الجاحظ لم يؤلف في القضايا النقدية دراسة مستقلة، فقد عبر عن آرائه عرضًا في تضاعيف الكتابين وفي كتبه المختلفة .

رابعاً: تعتبر قضية اللفظ والمعنى أكثر قضية نقدية أخذت حيزًا كبيرًا في الدراسات النقدية قديمًا وحديثًا، وقد عبر عنها الجاحظ برأي شهير في كتابه الحيوان، يقول: (المعاني مطروحة في الطريق.....).

خامساً: يستحق كتابا الجاحظ البيان والتبيين والحيوان وقفة إجلال وتقدير وإكبار وإعزاز وفخر.

ختاماً لا أملك إلا أن أقول هذا هو الجاحظ بنى بناءً ضخمًا في جميع المجالات ، وأثرت كتاباته في علماء البلاغة والبيان والفصاحة والنقد عربًا وغير عرب.

وأرجو من الله عز وجل أن أكون قد وفقت في ما عرضته في هذا البحث.

قائمة المراجع والمصادر

١- أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ، بيروت: دار الكتاب العلمية، الجزء الأول.

٢- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٩٣٨م)، البخلاء، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، الجزء الأول.

٣- خليل مردم، الجاحظ: أئمة الأدب، مصر: هنداوي،ج١

٤- عمر بن طرية (٢٠١٧)، "كتب الأخبار وأثرها في النقد العربي القديم، البيان والتبيين للجاحظ أنموذجاً"، العلامة، العدد ٤،

٥- فدوى الخوالدة، ثقافة الجاحظ الأدبية والنقدية واللغوية في كتاباته، الأردن: جامعة آل البيت ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

٦- كامل عويضة، الجاحظ –الشاعر الأديب الفيلسوف، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧- كتاب شرح المعلقات السبع، أبي عبدالله الزوزني، لجنة التحقيق في الدار العالمية

٨- ابن المعتز، كتاب طبقات الشعراء ،ط٣ تحقيق عبد الستار أحمد فراج .

٩- ابن النديم، الفهرست، بيروت.

١٠- أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب،ج٢

١١- أبو عثمان الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك (الطبعة الأولى)، القاهرة: المطبعة الأميرية.

١٢- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، نشر مكتبة الخانجى، ج٤

١٣- أماني رضا، ويسرا شاردمان (٢٠١٢)، "دراسة آراء الجاحظ حول الشعر ونقده"، دراسات النقد والترجمة في اللغة العربية وآدابها، العدد الثاني.

١٤- د/إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، عمان، الأردن، ١٩٩٣م
١٥- دكتور شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية١٩، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر.
١٦- ديوان امرؤ القيس.
١٧- ديوان طرفة بن العبد.
١٨- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، المجلد الأول.
١٩- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، المجلد الأول.
٢٠- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط٢ دار المعارف القاهرة.
٢١- علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ج٢.
٢٢- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج١،٢،٣.
٢٣- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج١،٣،٤ .
٢٤- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، ط١، ١٩٦٤م،
٢٥- ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي سنة النشر: ١٩٩٣م ، الجزء الخامس .